



الأسرة والعدوان الداخلي

يوجد طرف واحد مريض تماما والأخر سليم تماما. فمن الأسباب القريبة في الزوج مثلا نجد أنه ربما يتعرض للمهانة في إطار عمله ولا يستطيع أن يرد فينبغي عدوانيته نحو زوجته. أو قد يلجأ إلى العقاقير بغية الهرب من مشاعر العجز. فيعبر عن شعوره المؤقت بالقوة من خلال عدوانه على زوجته.

بينما نجد أسبابا في الزوجة كأن تذكره هي بعجزه بأن تطلب منه ما لا يستطيع إنجازه. أو قد تكون هي في علاقتها مع أطفالها عاجزة وتشعر بالذنب بما يجعلها تستفز زوجها حتى تنال العقاب. أما الأسباب البعيدة فلعلها ترجع إلى طفولة الزوجين واحتمال كونهما قد تعرضا لتربية من أسرتيهما يغلب عليها طابع العنف. ومن المفيد إخضاع الزوجين لبرنامج علاج نفسي زواجي.

٢- **العدوان بين الآباء والأبناء:** هنا أيضا نجد اختلافا بدنيا طبيعيا بين الآباء والأبناء يجعل العدوان في الأغلب من جانب واحد وإن كانت هناك استثناءات وخاصة عندما ينمو الأبناء.

المصرى ولكن في الأرجح هي تعدد تلك النسبة. وقد كان القانون وما زال إلى حد ما يتجنب التدخل في هذه العلاقة على أساس أنه بمجرد وجود مثل هذا التدخل فإن الأمر يعني أن العلاقة الزوجية قد انتهت كعلاقة حميمة تقوم على أساس اختيار حر راشد ومتبادل بين الطرفين. ولذلك فما زال الأفضل أن تتع مثل هذه الحالات في دائرة اختصاص الطبيب النفسي وطبيب العائلة. وفي هذه الحالات فعليه أن يبدأ بادئ ذي بدء بوضع حد لتصعيد الحلقة المفرغة مستخدما علاقة الثقة والاحترام التي تنشأ بينه وبين الأسرة. وكذلك بأن يتيح للزوجين قناة تعبير بديلة تبدأ بإشرافه. وتلك هي بواسطة التعبير باللفظ والصوت بل وحتى بالبدن ولكن في حدود لا تؤدي إلى عنف.

وعليه بعد ذلك أن يتطرق إلى الأسباب التي تؤدي إلى حدوث العنف بادئا بالأسباب القريبة إلى الأسباب المهيئة والبعيدة. وهي أسباب لا تقتصر على طرف واحد بل ترجع إلى طبيعة العلاقة المرضية بينهما. ففي الأغلب لا

وتعاني بعض الأسر من مظاهر متعددة من الانحلال الخلقى الذي انتشر بدرجة خطيرة وأصبح يهدد الاجتماع الأسرى بالانهيار.. وهذا التصدع يؤثر على العلاقات المتبادلة بين عناصر الأسرة، وينمى فيهم روح الحقد والكراهية، والانفعالات الشاذة، والاتجاهات غير السوية مما يؤدي إلى التفكك الأسرى، وزيادة التوتر بين عناصره، مما يؤدي إلى تدهور الحياة الزوجية التي تنتهي عادة بالهجر ثم الطلاق.. وإلى اضطرابات سلوكية في الأطفال مثل عدم الاهتمام بنصائح الوالدين وعدم الرغبة فيهما بل وعدم الانصياع لأوامرهما والتمرد عليهما.

وعندما تفشل الأسرة في وظيفتها في التعامل مع الواقع الخارجي تتحول طاقتها نحو الداخل بشكل يؤدي إلى تفتيتها. ولعل مظاهر ذلك العدوان تأخذ في الأغلب الأشكال الآتية:

- عدوان بين الزوجين.
- عدوان بين الآباء والأبناء.
- عدوان بين الأبناء مع بعضهم.
- عدوان جنسى.

١- **العدوان بين الزوجين:**

نظرا للاختلاف البدني الطبيعي بين الرجل والمرأة فإن العدوان في أغلب الحالات هو عدوان من جانب واحد، وهو الرجل وفي بعض الأحيان يكون من جانب المرأة وفي أحيان أخرى يكون العدوان بسبب كليهما.

التقديرات تشير إلى أن حوالي ٥٠% من الزوجات في الولايات المتحدة قد مرت بخبرة العنف الزوجي. وفي بعض الحالات تنتهي بالقتل. ورغم عدم وجود إحصائية فيما يتعلق بالمجتمع

أثبتت الدراسات التي بحثت في مدى العلاقة بين تصدع الأسرة وانحراف أبنائها أن الصلة بين الأمرين وثيقة، والتصدع الأسرى له أشكال كثيرة من أهمها:

التصدع السيكولوجي ... عن طريق إدمان المخدر، والاضطراب الانفعالي للأداء، والمناخ الأسرى المميز بالصراع الداخلي والعنف والعدوان، والتوتر المستمر، وهو يشكل عاملاً مهماً في خلق الانحراف.



د. علاء فرغلي

إستشاري الطب النفسي



المختلف (ذكر وأنتى). فالعلاقات الجنسية المحرمة هذه لها جذور فطرية والتحریم إنما هو عمل تربوى حضارى .

ولذلك فمن أعراض التفكك الأسرى (ومن أسبابه أيضا) والتفكك الحضارى هو ذلك الانهيار لحاجز التحريم. وهو يتصف بالعدوان لأنه فى الأغلب يمارس من قبل طرف أضعف ومحدود الخيار . وينطبق ذلك بالتحديد على الآباء تجاه بناتهم والأبناء تجاه أخواتهم. وإن كان يمكن أن ينطبق ذلك بأشكال أخرى أقل انتشارا .

ومثل هذه العلاقات علاوة على كونها تعبيرا عن تفكك الأسرة تؤدى فى حد ذاتها إلى ذلك التفكك ناهيك عن الضرر النفسى الشديد على الأطفال الذين يتعوق نموهم الجنىسى والنفسى بما يجعلهم يعجزون عن تكوين علاقات سليمة تؤدى إلى إنشاء أسرة جديدة. وهنا أيضا نجد القانون يخجل من التدخل.. الأمر الذى يضع المسئولية على كاهل الطبيب. وقد يجد أنه من الضرورى أن يفصل بين الآباء والأبناء إما بنقل أحد الأطراف إلى مكان آخر أو بالفصل داخل المنزل نفسه .

ولذلك يجب على الآباء تعليم أبنائهم وترشيدهم على الثقافة الجنسية حتى يتحصنوا ولا يقعوا فى العلاقات الجنسية المحرمة سواء داخل الأسرة أو حتى خارجها .

وختاما فإن هذه المجالات الأربعة التى يمارس فيها العنف من قبل طرف أقوى على طرف أضعف وفى إطار علاقة أسرية يكون الأصل فيها هو المحبة لهى تمثل مشاكل إنسانية دقيقة يعجز القانون عن مواجهتها وحده وتحتاج من الطب سعة أفق ودراية بالعلوم الإنسانية تفوق ما هو متاح حاليا فى تعليم الطبيب. إلا أنها مشاكل لا يمكن تجاهلها أو تركها للحلول العشوائية، بل تحتاج إلى برامج علاجات نفسية مختلفة مثل العلاج النفسى الأسرى والزواجى والمعرفى السلوكى والعلاج الجماعى وربما العلاج النفسى التحليلى فى بعض الحالات. وكذلك يقع على كاهل الطبيب والأخصائى النفسى نشر التوعية والثقافة النفسية خاصة بين الأسر والمجموعات المهشة .



أو الأم) فى التحكم فى نزعاته العدوانية. وقد تحتاج هذه الأسرة إلى جلسات علاج نفسى أسرى يحضرها كل أعضاء الأسرة .

٣- العدوان بين الأبناء:

سواء كانوا أطفالا أو مراهقين ومن أهم أسباب هذا العدوان: الغيرة بين الأبناء - تفضيل أحد الأبناء على الآخرين عند الوالدين - المنافسة بعنف بينهم على أى شىء - انحراف أحد الأبناء سلوكيا - دخول أحد الأبناء فى الإدمان..... الخ.

٣- العدوان الجنىسى:

الطبيعى فى الأسرة أنها الإطار الأمثل للتعبير عن الاقتراب الجنىسى بين الزوج والزوجة، ولكنها مطلوبة فى ذات الوقت بحماية الأطفال من إثارة المشاعر الجنسية حتى يكتمل نموهم مما يجعلهم مؤهلين لإنشاء أسر جديدة خاصة بهم ومستقلة عن أسرة الأصل. بل المطلوب أن تنشأ هذه الأسر بواسطة الزواج من خارج الأسرة، الأمر الذى يرجح الذرية السليمة من حيث تقليل فرص وراثية الأجنة الضعيفة كما يحدث فى زواج الأقارب. وهناك سبب أهم لذلك الواجب من قبل الأسرة فى تحريم الجنس على الأولاد وهو منع الصراعات والانشقاقات داخل الأسرة بفعل المنافسة على الموضوع الجنىسى. بل تأكيد رابطة التعاون بين جميع أفراد الأسرة .

إلا أن هذا المنع للإثارة الجنسية داخل الأسرة (باستثناء الزوجين) الذى أخذت به جميع الحضارات الإنسانية إنما هو يتكرر تأكيده وتعليمه باستمرار لأن هناك احتمالا لحدوثه. والاحتمال يقوم على افتراض وجود جاذبية طبيعية بين الأجساد ذات الجنس

آخذين فى الاعتبار تعود الطفل عليه بما يجعله دائم الاستفزاز لهما. بل إننا نجد أن بعض الأطفال أصبح يرى أن العنف هو الدليل على اهتمام والديه به مما يجعله يقوم بهذا، ويجب أن يتعلم الآباء مبادئ التربية مفضلين القدوة على الثواب والعقاب فعليهما أن يؤكدوا للطفل فى توهما أن العقاب هو لفعل بعينه وليس للطفل ذاته. فمن الممكن أن يتلقى العقاب لفعل ما وفى نفس الوقت يتلقى التأكيد من الوالدين بجبهتهما له. وعلى أن يكون أى شىء غير الضرب والعنف البدنى، مثلا يكون الحرمان من شىء يحبه لفترة معينة أو الحرمان من رحلة..... الخ.

ومرة أخرى فسوف نجد الأسباب المرسية والمهيئة فى جميع الأطراف (بما فى ذلك الطفل نفسه) إلا أن المستهدف فى النصح والإرشاد فى الأغلب هما الوالدان حيث إنهما الأقدر على استيعاب ذلك علاوة على كونهما أصحاب المصلحة الأكبر فى أن ينمو طفلهم نمو طبيعيا نفسيا وبدنيا .

وقد نجد أن الأسباب القريبة، ظروف المعيشة وضيق المسكن أو طبيعة العلاقات الاجتماعية للأبوين أو اضطراب علاقتهما الزوجية بما يجعلهما كارهين لأولادهما لكونهما الرباط الذى يفرض عليهما الاستمرار فى العلاقة الزوجية .

والأسباب البعيدة قد ترجع لكون الوالدين قد تعرضا لتربية كان النمط الغالب فيها هو العنف. وقد يكون ذلك العنف على شكل سلوك أسرى أو على شكل عدم وجود تربية تعاون الطفل (الأب

هنا أيضا نجد أن العقاب البدنى كوسيلة تربوية مازال الكثير من الآباء يؤمنون به يختلط أمره مع العنف المدمر. ولعل ذلك يرجع إلى بقايا ما كانت بعض المجتمعات تأخذ به (فى القانون الرومانى مثلا وفى الجاهلية العربية) حول أحقية الأب المطلقة فى أبدان أولاده لدرجة القتل، ولكن بالمقدار الذى تقاس فيه الحضارة بدرجة مراعاتها لضعفاؤها من أطفال ومسنين فإن التقدم الحضارى ارتبط بالحد من هذا الحق للأب فى أبدان أولاده. وأصبح القانون يقع حائلا أمام الآباء. وذلك الأمر يتعلق بالأطفال الصغار بعلاقتهم بأبهم .

و تشير الإحصائيات مرة أخرى إلى انتشار ظاهرة العنف ضد الأطفال بشكل متزايد. ولكن الأخطر من ذلك أن الدراسات تؤكد أن نسبة لا بأس بها من الأطفال الذين تعرضوا للعنف يصابون باضطرابات جسمية ونفسية وكثير منها مستديم ويعطل النمو الطبيعى للأطفال .

وهنا مرة أخرى نجد القانون يعجز عن حماية الطفل لا خوفا من تفتيت الأسرة فقط ولكن لأن الطفل لا يستطيع أن يشكو والديه. ولذلك فإن القانون يبيح لأطراف ثالثة أن تتقدم بالشكوى .

ومع ذلك فمازال أغلب الحالات التى تطفو إلى السطح تأتى من غرف الاستقبال فى المستشفيات العامة أو من عيادة الطبيب الممارس العام، فالطفل سهل الإصابة وسرعان ما يحتاج لرعاية طبية بمجرد تعرضه للعدوان. ولذلك فمن واجب الطبيب أن يعلم عن أبعاد الظاهرة وما تؤدى إليه من إصابات يمكنه تشخيصها .

إلا أن التشخيص والعلاج الطبى البدنى لا يكفى بما أنه لا يتطرق إلى أسباب الظاهرة وعلاجها الجذرى. وعلى الطبيب أن يكتسب ثقة الطفل والأبوين على السواء مما يجعله متمكنا من القيام بدور المرشد والناصح والمعالج نفسيا واجتماعيا .

وقد ينطبق مبدأ ميل العنف أن ينمى نفسه تصاعديا، الأمر الذى يستلزم وضع حد للحلقة المفرغة. وبعدها يستطيع أن يعلم الآباء كيف يستمعون إلى شكوى أولادهم بصبر وتأن، متحكمين فى انفعالهم وميلهم الطبيعى لاستعمال العنف كحل سريع،